قاعدته (وهو المعروف باسم لوجيا سنسوڤينو حيث بعض التماثيل البديعة) وبعد هنيهة سقط البرج كلهُ دفعةً واحدةً كأنهُ شيخ ادركتهُ المنيَّة فتنهَّد واسلم الروح ولم يؤذِ انساناً. الاَّ ان الجانب المحاذي للقصر الملكي الذي أُدخلت المؤونة بين اجرهِ التصقت اجزاؤهُ بعضها ببعض فسقطت قطعاً كبيرة على زاوية القصر القريبة منها واتلفت ما مساحتهُ ستة امتار من واجهتهِ ولو رُمِّ البرج كلهُ كذلك لاتلف بسقوطهِ القصر الملكي وقصر الدوقات والكنيسة اما وقد سقط من غير ترميم فاقتصرت الخسارة عليهِ وعلى الرواق الجميل الذي كان عند قاعدتهِ

وكان احد الاميركيين النازلين في البندقية ينظر الى اعلى البرج من فوق سقف بيت فرأى الملاك المذهب يهبط رويداً رويداً الى ان غاب عن بصرهِ وللحال علت في الجو سحابة من الغبار وهرع الناس من كل انحاء المدينة ليروا ما جرى فوجدوا انهُ لم يبقَ من البرج غير مدينتهم سوى تلة من الانقاض علوها ثمانون قدماً وهي منبسطة القاعدة حتى تمس جدران الكنيسة . ويقال ان في نية الحكومة الايطالية ان تعيد بناءهُ وتردهُ الى ما كان عليهِ تماماً وقدرت النفقات اللازمة لذلك بمئة وعشرين الف جنيه .

وقد كان لسقوط هذا الاثر وقع اليم في النفوس فقامت صحف الاخبار تعزي البلاد الايطالية كأنها فقدت عزيزاً كريماً . قالت جريدة التيمس ان امم الارض جمعاء تقدم فروض التعازي الى البندقية والى المملكة الايطالية عن هذا المصاب الاليم والخطب الجسيم لان للبندقية صلةً بكل العالم المتمدن مثل رومية وفلورنسا واثينا. والالوف الذين يقصدونها كل سنة من انكلترا واميركا والمانيا تبقى ذكراها في نفوسهم حتى الممات ذكرى مدينة حافلة بآثار الماضي واعجادهِ فيشعرون بالرزء الذي حلَّ بها كأنهُ حلَّ بهم

سل البشر والبقر

في اواخر يوليو من العام الماضي قام الاستاذ كوخ في مؤتمر السل المنعقد حينئذٍ في لندن وخطب خطبتهُ المشهورة التي انتقلت بالبرق وبسرعتهِ الى كل انحاء العالم المتمدن وصارت منذ ذلك الحين موضوع اهتمام العلماء والاطباء وبحثهم المتوالي المدقق ليس لان المسألة ذات اهمية كبرى بحد ذاتها فقط بل ايضاً لانها تخالف معتقد كل الاطباء من حيث وحدة نوع الباشلس التدرني (ميكروب السل) في البشر وفي البقر ومن حيث امكانية انتقالهِ من النوع الواحد الى الآخر

كان علماء الطب والبكتيريولوجيا يعتقدون ان ميكروب السل في البشر وفي البقر من اصل واحد وانهُ ينتقل طبعاً على سبيل العدوى من النوع الواحد الى الآخر نظراً لوحدة نوعه فيهما. ولذلك كانوا يحرّضون رجال الحكومة اشد التحريض على منع ادخال المواشي المسلولة الى بلادهم وعلى تعقيم ألبان البقر واخذ الاحتياطات اللازمة لتحقيق صحة اللحم والزبدة واللبن

وفي ٢٣ يوليو من العام الماضي قال كوخ في خطبتهِ المذكورة آنفاً ما يخالف هذا الاعتقاد العام الذي كان هو نفسهُ من اقوى مؤسسيهِ وادّعى ان سل البقر يختلف عن سل البشر وانهُ لا يمكن نقلهُ اليهم. وان عدوى البشر من البقر نادرة جدًّا ولذلك فلا موجب للاهتمام بمقاومتها (انظر المقتطف مجلد ٢٦ صفحة ٧١٩ الى ٧٨١)

ولا يخفى ما لهذه المسئلة من الاهمية الكبرى ليس فقط في نظر اهل العلم والطب والصحة بل في نظر اهل التجارة والزراعة والسياسة لما نعلمهُ من شدة احتياج الناس الى البقر الى لبنها وزبدتها ولحمها وكثرة اتجارهم بهذه الاصناف التي تعد الآن من اهم الحاجيات

ومن يطالع مجلات اوروبا واميركا يعلم انهُ قد مضى سنة كاملة على خطاب كوخ المذكور ولا يزال صداهُ يتردد في كل اندية العلم على السنة نخبة رجال الارض باهتمام شديد لم يسبق لهُ مثيل في عالم الطب والبكتيريولجيا. ولكن عدد المقاومين رأي كوخ آخذ في الازدياد يوماً بعد آخر ومن المرجح انهم سيتفقون على تفنيد كلامهِ بحجج دامغة وبراهين قاطعة لا تقبل الرد والاعتراض فيرجع الناس الى ما كانوا عليهِ قبلاً من حيث اعتناؤهم بانتقال السل من البقر الى البشر ووجوب اخذ الاحتياطات الكافية لمقاومة العدوى الآتية من اكل لحومها والبانها اذا كانت مسلولة

ومن لاحظ مجرى الامتحانات العديدة والتجارب المتوالية التي قام بها علماء اوروبا واميركا هذا العام يرى انهم لم يتركوا باباً الاَّ طرقوهُ حبًّا بالوصول الى الحقيقة ولو كان ذلك الباب تلقيح ذواتهم او غيرهم من البشر بباسلس التدرن البقري معرّضين بذلك حياتهم لخطر الموت في سبيل خدمة الانسانية . وانني الى تاريخ هذه السطور عرفت اسماء ستة من الاميركيين بينهم ممرضتان تلقحوا انفسهم بميكروب السل البقري لتحقيق هذه المسئلة الهامة . ولعل البعض منهم فعلوا ذلك قصد الشهرة فقط وذلك ليس نادراً بين شعب كالاميركيين يكثر بينهم من يتطلب الشهرة ولو بالاستشهاد. وقد فعل بعضهم ذلك في انكلترا ايضاً. وفي هذا الشهر نقل بريد اوروبا الينا خبر تلقيح الدكتور غارمول (Garmault) نفسهُ بالسل البقري لهذه الغاية . ولكنني شممت رائحة التعصب الجنسي من كلام غارمول على كوخ وقولهِ الجديد وهذا مما يؤخذ بهِ

الطبيب الفرنسوي المذكور لان العالم الحقيقي يجب ان يقول سرًّا وعلنًا " لاعداء في العلم "

وكيفما كانت الحال فهذه الامتحانات الافرادية قلما تأتي بالفائدة المطلوبة عندما يراد اثبات حقيقة علمية او دحضها . بل المعول عليه في مثل هذه الحال هو سرد تاريخ مئات والوف من الحوادث الكلينيكية والامتحانات العملية (وهذا ما يعبر عنهُ بالاحصاءات) حتى يمكننا التوصل الى نتيجة يقف العقل عندها وينزع من الفكر كل شك وريب بصحتها فنثبتها كحقيقة علمية مبنية على الاستقراء والاستدلال

امتحانات الحكومة الاميركية

وهذا نفس ما فعلتهُ حكومة اميركا في العام الماضي فان تقارير اطباء اللجان التي عينتها بعض الولايات للبحث عن هذا الامر مبنية كلها على اختبارات وامتحانات حسية تبرهن فساد قول كوخ الذي قالهُ في العام الماضي وتدل على صحة الرأي القديم القائل بوحدة نوع الميكروب في سل البقر والبشر او امكانية انتقاله من النوع الواحد الى الآخر . وبالنتيجة توجب اتخاذ كل الوسائل الممكنة لمنع ادخال المواشي المسلولة الى الولايات المتحدة والمحافظة الصحية الدقيقة على الالبان واللحوم التي يقتات بها الناس من اي مصدر كانت

ومن اشتغلوا كثيرًا بحل هذا المشكل الدكتور (رافنل) (M. P. Ravenel) بكتيريولوجي مجلس ولاية بنسلفانيا الصحي . والتقرير الذي رفعهُ الى جمعية فلادلفيا الباثولوجية يبحث في ثلاثة امور وهي : —

اولاً . ان سل البقر ينتقل الى البشر خلافًا لما قال كوخ . واسند ذلك الى عدة تجارب واحصاءات وحوادث كلينيكية . واتمامًا للفائدة نذكر واحدةً منها — فتحت رمة طفل مات بسل اغشية الدماغ فوُجدت الغدد المساريقية كلها في حالة الارتشاح الدرني وبعد ان استنبت الدكتور رافنل منها مستنبتات عديدة من باشلس السل لقح بها عددًا من العجول فظهر السل فيها حالاً وبقوة شديدة اماتتها في وقت قصير . فهذا يبرهن على ان ميكروب السل في البقر والبشر من اصل واحد وان نوع السل الذي مات الطفل بهِ كان من اصل بقري طبعًا

ثانيًا . ان سل البقر ينتقل الى البشر وهو اصل العدوى في كثير من الاطفال الذين يكثرون من شرب لبن البقر الذي لا يراقب مراقبة صحية دقيقة . ومع ان الدكتور رافنل لا ينكر ان بعض الاطباء يبالغون في ذلك ولكنهُ مع كل التساهل الممكن لا يقدر ان يسلم مع كوخ ويقول ان اصابة الاطفال بالسل المعوي ابتداء نادرة جدًّا لان الاحصاءات التي في يدهِ تدل دلالة صريحة على كثرة عدد الاطفال الذين يموتون بالسل المعوي او المساريقي ابتداء

خلافاً لما يزعم كوخ (انظر مجلة مدرسة فيلادلفيا الجامعة عدد مايو سنة ١٩٠٢ صفحة ٦٦)

ثالثاً . انهُ يوجد احياناً بعض الفرق بين ميكروب السل البقري وميكروب السل البشري. ذلك من حيث الهيئة وكيفية الاستنبات وتناوت القوة على العدوى . ولكن ذلك الفرق زهيدٌ الى الغاية وليس هو مما لا يقبل التغير كما انهُ ليس دائم الوجود . فلذلك لا يجب ان نعلق عليهِ كبير اهمية ونستنتج منهُ مخالفة اصل الميكروب في البقر وفي البشر او عدم مماثلتهِ فيهما جميعاً . وخصوصاً اذا اعتبرنا نوع الوسط الذي يعيش فيهِ كل منهما اعني كمية الحرارة ونوع التغذية والنسج وكمية المقاومة — فكل ذلك يختلف في البشر عنهُ في البقر ويدعو الى وجود بعض الفرق في ميكروب السل البقري والبشري من حيث الهيئة والقوة على العدوى وكيفية الاستنبات وهذا مما لا يعتدُّ بهِ لانهُ يأتي بالعدوى في اي حال كان

ابحاث المجمع الطبي الاميركي

وقد اقرَّ القسم البكتيريولوجي في المجمع الطبي الاميركي الذي انعقد حديثاً في ولاية نيويورك من ١٠ الى ١٣ يونيو هذا العام على فساد رأي كوخ حائزاً الحكومة الاميركية على وجوب المحافظة على القوانين القديمة المتعلقة بمنع ادخال البقر المسلولة الى الولايات المتحدة وبوجوب النظر في امر البانها ولحومها

وقد قال الدكتور امرت (Emmert) في خطاب نفيس لهُ في ذلك المجمع ان السل يفتك بسبع العالم . وان ثلث وفيات الناس بين الخامسة عشرة والستين هي من السل . وان هذا الداء الوبيل يفتك بالناس اكثر مما تفتك الحمَّى التيفوئيدية والقرمزية والدفتيريا والجدري معاً باربعة اضعاف ونصف . وان عدد الوفيات في الاطفال تحت سن الخامسة يكثر ان يكون سببهُ تدرن المساريقي او الامعاء ابتداء خلافاً لما زعم كوخ في العام الماضي

وقد قال الدكتور امرت المذكور انهُ سقى عدداً من الارانب والخنازير الهندية والكلاب لبناً من بقر مسلول فأصيبت بالسل بعد شربها اللبن بوقت قصير . واطعم العجول ايضاً بعض الطعام الحاوي على باشلس السل البشري فأصيبت بالسل خلافاً لما قال كوخ

اما فيما يتعلق باصابة الاطفال بالسل البقري فقد ذُكر في المجمع الطبي الاميركي احصاء جمعهُ الدكتور وودهَد سرد فيهِ تاريخ ١٢٧ طفلاً مات منهم ٤٣ بالسل المعوي ابتداء . وذلك اتى عن تناولهم لبناً من بقر مسلولة . (انظر مجلة المجمع الطبي الاميركاني عدد ١٤ يونيو سنة ١٩٠٢)

وذكر الدكتور لو Law ان طفلاً عمرهُ سنة ونصف مات بالسل المعوي ابتداء لانهُ

كان يشرب لبن بقرة عُلِمَ انها كانت مسلولة حينئذٍ . وروى الدكتور غوص Gosse من جنوى ان طفلة لهُ أُصيبت بالسل المعوي ابتداءً لانها كانت تُسقى لبنًا من خمس بقراتٍ علم ان اثنتين منها كانتا مصابتين بالسل وذلك بعد ان ماتت الطفلة . فانهُ ذبح البقرات الخمس لتحقيق اصل مرض ابنتهِ بالفحص الرمي والمكرسكوبي

وذكر الدكتور بروارديل Brouardel الفرنساوي المشهور خمس بناتٍ بين ١٤ بنتًا في احدى المدارس الداخلية في باريس توفين بالسل المعوي أُصابهنَّ ابتداءً لشربهنَّ لبنًا من بقرة المدرسة ولما اشتبهَ في هذه البقرة بسبب كثرة الوفيات في المدرسة ذُبحت وفحصت رمتها فتحققوا وجود السل فيها

هذا من حيث اللبن امَّا من حيث اللحوم فالشواهد التي تؤيد انتقال السل من البقر الى البشر اكثر من ان تُعد

ذكر الدكتور تشرمن Tscherming من كوبنهاغن عن طبيبٍ يطري جُرِحت يدهُ اليسرى وهو يشرح جثة بقرة مسلولة . وبعد ان شفي الجرح ببضعة اشهر ظهر تورمٌ خبيث في محل الجرح تمامًا تقرَّح بعدئذٍ ولم يتمكن الطبيب من شفائهِ لا بكثير ولا بقليل حتى التزم جراحهُ ان يستأصلهُ بالكلية . وبعد الفحص المكرسكوبي في نسج ذلك التورم المنزوع وُجد باشلس السل فيهِ كثيرًا جدًّا

وروى الدكتور فيفر Pfeiffer البكتيريولوجي الشهير عن رجل عمرهُ ٣٥ سنة قوي البنية لا أثر للسل مطلقًا في عائلتهِ جرح بنصر يدهِ اليسرى وبعد ان اندمل الجرح بستة اشهر ظهر في محلهِ تورمٌ لم يبرأ منهُ الرجل المذكور قط رغمًا عن كل الوسائط الفعالة التي استخدمها لهُ . وفي نهاية السنة ظهرت عوارض السل الرئوي فيهِ وكان هذا سبب موتهِ بعد سنتين ونصف ولدى الفحص المكرسكوبي تحققوا وجود باشلس السل بكثرة في التورم الذي في البنصر المجروح . وكان ذلك الرجل يطارًا أُعدي بنصرهُ من بعض الماشية المسلولة وانتقل ذلك السل اخيرًا الى رئيتهِ فاماتهُ

النتيجة

هذا قليل من كثير من الامتحانات العلمية والاحصاءات الدقيقة التي يستشهد بها اليوم رجال العلم والطب في اوروبا واميركا لتفنيد كلام كوخ ورأيهِ الجديد والظاهر انهم سيتغلبون عليهِ او قد تغلبوا لانهم اقوى حجةً منهُ والشواهد حسيةٌ عديدة لا تقبل الاعتراض والرد ناهيك عن انهم يقولون بوجوب التحفظ على صحة كلامهم من اللبن واللحوم المشتبه فيها وهو يقول

بقلة الاهتمام بذلك . والناس اقرب الى التحفظ منهم الى قلة الاهتمام في مسائل حفظ الصحة واطالة العمر لما نعلمهُ من تشبثهم بالحياة واحتفاظهم بها . وهم في ذلك غير ملومين فانهم يجرون على مقتضى ميل غريزي يدفعهم الى مقاومة كل ما يدعو الى تقصير الحياة او جلب الشقاء

سان باولو . برازيل الدكتور سعيد ابو جمره

الزواج والمشاهير

من الاقوال المأثورة ان كبار الانام الذين اشتهروا بالعلم والفضل او بالسياسة والرئاسة او بغير ذلك من المطالب قلما يتزوجون وان تزوجوا تأخروا في زواجهم وقلَّ اولادهم كأنَّ الارتقاء بلغ فيهم حدهُ وهم ثمرة فرعهم وغاية ما ينتهي اليهِ قبيلهم. وقد بحث الاستاذ ثورندَيك الاميركي في هذا الموضوع بحثًا استقرائيًا فلم يجد ما يؤيد هذا القول من حيث الزواج . ذلك انهُ اختار ١٢١٨ رجلاً من المشاهير الواردة اسماؤهم في كتاب الاعلام الاميركي وبحث عنهم من حيث تزوجهم والسن الذي تزوجوا فيهِ فوجد

٢٨٦	منهم سنهم بين ٦٠ و ٧٠	والمتزوجون منهم ٨٨	في المئة
و ٢٤٧	« « « ٥٠ و ٦٠	« « ٨٨	« «
و ٣٤٢	« « « ٤٠ و ٥٠	« « ٨٨	« «
و ٢٤٣	« « « ٣٠ و ٤٠	« « ٨٥	« «

والمتزوجون من الرجال سكان اميركا كلهم على ما في هذا الجدول

من الذين سنهم بين ٦٠ و ٧٠	٩٣	في المئة
« « « ٥٠ و ٦٠	٩٢	« «
« « « ٤٠ و ٥٠	٨٩	« «
« « « ٣٠ و ٤٠	٧٩	« «

فالفرق قليل جدًّا بين المشاهير وغيرهم من هذا القبيل

وظهر لهُ من بحث آخر ان المشاهير يتزوجون ابكر من غيرهم خلافًا للقول الشائع فالذين سنهم اربع واربعون سنة مثلاً وقد تزوجوا بين الخامسة والعشرين والثلاثين من عمرهم يبلغون من المشاهير ٤٣ في المئة ومن غيرهم ٤١ في المئة فالزواج الباكر شائع بين المشاهير اكثر مما هو شائع بين غيرهم . ولم يبحث عن مواليد المشاهير وغيرهم ونظن انهُ لو بحث لرأى ما يؤيد القول المأثور وهو ان نسلهم يقلُّ رويدًا رويدًا الى ان ينقرض